الريادة الفنية وتأصيل الهوية في الفن المعاصر: دراسة معرفية تحليلية

Artistic Leadership and the Authenticity of Identity in Contemporary Art: An Analytical Cognitive Study

د.نوره عبدالله الجماز

Dr.Norah Abdullah Aljammazn

جامعة الملك سعود

المملكة العربية السعودية

naljammaz@ksu.edu.sa

الملخص

أظهرت التحولات الثقافية والمعرفية التي يشهدها العالم المعاصر أنماطًا جديدة من الممارسات الفنية، أسهمت في إعادة تشكيل مفهوم الفن ووظائفه ودلالاته، ولا سيما في مجال الفنون البصرية. ولم يعد الفن المعاصر محصورًا في الإطار الجمالي التقليدي، بل غدا حقلًا معرفيًا منفتحًا على مجالات فكرية وثقافية متعددة، الأمر الذي أتاح بروز مفهوم الريادة الفنية بوصفه توجهًا إبداعيًا يسعى إلى الابتكار والتجديد واستشراف آفاق تعبيرية جديدة.

وفي مقابل هذا التوجه الريادي، تبرز الهوية الثقافية بوصفها أحد المرتكزات الأساسية في الخطاب الفني، إذ تواجه الممارسات الفنية المعاصرة إشكالية الموازنة بين متطلبات التجديد والحفاظ على الخصوصية الثقافية. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة العلاقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية في الفنون البصرية المعاصرة، من خلال مقاربة معرفية تحليلية تؤكد أن الابتكار لا يستلزم بالضرورة القطيعة مع المرجعيات الثقافية.

الكلمات المفتاحية :الريادة ،الفنية ،الهوية ، الفن ، المعاصر.

Abstract

The cultural and intellectual transformations witnessed in the contemporary world have revealed new patterns of artistic practice, contributing to the reshaping of the concept of art, its functions, and its meanings, particularly in the field of visual arts. Contemporary art is no longer confined to the traditional aesthetic framework but has become a field of knowledge open to diverse intellectual and cultural domains. This has allowed for the emergence of the concept of artistic innovation as a creative approach that strives for innovation, renewal, and the exploration of new expressive horizons.

In contrast to this pioneering approach, cultural identity emerges as a fundamental pillar in artistic discourse. Contemporary artistic practices face the challenge of balancing the demands of renewal with the preservation of cultural distinctiveness. Hence the importance of this research, which seeks to study the relationship between artistic innovation and the grounding of identity in contemporary visual arts through an analytical epistemological approach that affirms that innovation does not necessarily entail a break with cultural references.

Keywords: Leadership, Art, Identity, Art, Contemporary.

المقدمة

أظهرت التحولات الثقافية والمعرفية التي يشهدها العالم المعاصر أنماطًا جديدة من الممارسات الفنية، أسهمت في إعادة تشكيل مفهوم الفن ووظائفه ودلالاته، ولا سيما في مجال الفنون البصرية. ولم يعد الفن المعاصر محصورًا في الإطار الجمالي التقليدي، بل غدا حقلًا معرفيًا منفتحًا على مجالات فكرية وثقافية متعددة، الأمر الذي أتاح بروز مفهوم الريادة الفنية بوصفه توجهًا إبداعيًا يسعى إلى الابتكار والتجديد واستشراف آفاق تعبيرية جديدة.

يشهد الفن المعاصر تحولات عميقة نتجت عن التغيرات الثقافية والاجتماعية المتسارعة، مما أسهم في إعادة تعريف دور الفنان بوصفه منتجًا للمعنى وفاعلًا في تشكيل الوعي البصري للمجتمع. وفي هذا الإطار، برز مفهوم الريادة الفنية بوصفه أحد المرتكزات الأساسية في الفنون البصرية المعاصرة، حيث يرتبط بالابتكار، وتجاوز القوالب التقليدية، واستحداث صيغ تعبيرية قادرة على مواكبة متطلبات العصر مع الحفاظ على البعد الثقافي (العتيبي، 2019).

ولا تقتصر الريادة الفنية على التجديد التقني أو الأسلوبي، بل تمتد لتشمل البعد الفكري والرمزي للعمل الفني، بما يسهم في تأصيل الهوية الثقافية والوطنية. ويُعدّ التراث أحد أهم المصادر التي يستند إليها الفنانون المعاصرون في تحقيق هذا التأصيل، إذ يتم توظيفه بوصفه مادة معرفية وجمالية قابلة لإعادة التفسير والإبداع، بعيدًا عن النقل أو الاستنساخ (الخزاعي، 2017). وقد أسهم هذا التوجه في بلورة علاقة تكاملية بين التراث والحداثة داخل التجربة التشكيلية العربية المعاصرة، حيث تتجسد الهوية في إطار رؤى فنية معاصرة (الحميدي، 2016).

وفي ظل تصاعد تأثير العولمة الثقافية، واجه الفن المعاصر إشكالية التوفيق بين الخصوصية المحلية والانفتاح العالمي، الأمر الذي جعل من الهوية الوطنية محورًا رئيسًا في الخطاب الفني المعاصر. وقد ساعدت الريادة الفنية على تعزيز حضور هذه الهوية من خلال إنتاج أعمال بصرية تعكس الخصوصية الثقافية، مع الحفاظ على القدرة على التواصل مع المتلقي العالمي (سليمان، 2018؛ عبد الله، 2020). كما أسهم الخطاب البصري في إبراز تجليات الهوية من خلال الرموز والدلالات البصرية التي تعكس القيم الثقافية والاجتماعية (الشمري، 2021).

وفي السياق السعودي، شهد الفن التشكيلي المعاصر تطورًا ملحوظًا، تمثّل في بروز تجارب فنية رائدة استطاعت توظيف الموروث الثقافي والبيئي في صيغ معاصرة، أسهمت في تأصيل الهوية الوطنية وتعزيز حضورها في المشهد الفني المحلي والدولي (القحطاني، 2019). وتشير الدراسات إلى أن الريادة الفنية تمثل عاملًا أساسيًا في تطوير الفن التشكيلي المعاصر، لما لها من دور في دعم التجريب، وتوسيع آفاق التعبير الفني، وربط الفن بقضايا الهوية والمجتمع (الحربي، 2020).

وفي مقابل هذا التوجه الريادي، تبرز الهوية الثقافية بوصفها أحد المرتكزات الأساسية في الخطاب الفني، إذ تواجه الممارسات الفنية المعاصرة إشكالية الموازنة بين متطلبات التجديد والحفاظ على الخصوصية الثقافية. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة العلاقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية في الفنون البصرية المعاصرة، من خلال دراسة الريادة الفنية ودورها في تأصيل الهوية الوطنية في الفن المعاصر، من خلال تحليل الأطر النظرية المرتبطة بالمفهومين، والكشف عن آليات توظيف التراث والهوية في الممارسات الفنية المعاصرة.

مشكلة البحث

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها الفن المعاصر، برزت الريادة الفنية كأحد المفاهيم المحورية التي تسهم في تطوير الممارسات الفنية وتوسيع آفاقها التعبيرية. غير أن هذا التوجه الريادي تزامن مع تحديات متزايدة تتعلق بالحفاظ على الهوية الثقافية والوطنية، خاصة في ظل تأثيرات العولمة والانفتاح الفني العالمي (سليمان، 2018؛ عبد الله، 2020).

وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت مفهومي الريادة الفنية والهوية الثقافية كلٌّ على حدة، إلا أن هناك قصورًا في الدراسات التي تربط بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية ضمن سياق الفن المعاصر، ولا سيما في التجارب العربية والسعودية. ومن هنا تتبلور مشكلة البحث في التساؤل حول مدى إسهام الريادة الفنية في تأصيل الهوية الوطنية داخل الفن المعاصر، وآليات هذا الإسهام.

والتي يمكن صياغتها في التساؤل الرئيس الآتي:

كيف يمكن تحقيق الريادة في الفنون البصرية المعاصرة دون الإخلال بالهوية الثقافية؟

أسئلة البحث

ينبثق عن التساؤل الرئيسي للبحث عدد من الإشكالات الفرعية، من أبرزها:

1. ما مفهوم الريادة الفنية وما خصائصها في الفن المعاصر؟
2. ما مفهوم الهوية الوطنية وكيف يتم تأصيلها في الفن المعاصر؟
3. ما طبيعة العلاقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية في الفن المعاصر؟
4. ما أبرز التحديات التي تواجه تأصيل الهوية الوطنية في ظل العولمة الفنية؟

فرضيات البحث

ينطلق البحث من الفرضية الآتية:

تسهم الريادة الفنية في الفن المعاصر إسهامًا فاعلًا في تأصيل الهوية الوطنية، من خلال توظيف التراث والرموز الثقافية ضمن صيغ تعبيرية مبتكرة تواكب التحولات العالمية دون فقدان الخصوصية المحلية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1. توضيح مفهوم الريادة الفنية في سياق الفنون البصرية المعاصرة.
2. تحليل مفهوم الهوية الثقافية ودوره في الخطاب الفني المعاصر.
3. الكشف عن طبيعة العلاقة بين الريادة وتأصيل الهوية في الفن.
4. إبراز دور الفن بوصفه نظامًا معرفيًا قادرًا على إنتاج المعنى والحفاظ على الخصوصية الثقافية.

أهمية البحث

يكتسب هذا البحث أهمية متعددة على المستويات العلمية والثقافية والفنية، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. المساهمة في توضيح العلاقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية، وهو موضوع حيوي في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يشهدها العالم.
2. دعم فهم كيفية توظيف التراث والخصوصية الثقافية في الفن المعاصر بطريقة إبداعية وريادية، مما يعزز من مكانة الفن على الصعيدين المحلي والدولي.
3. إثراء الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالفن التشكيلي من خلال تقديم دراسة متكاملة تربط بين النظرية والتطبيق عبر نماذج فنية معاصرة.

4. توجيه الفنانين والمبدعين نحو استثمار مفردات الهوية الوطنية في أعمالهم الفنية بأساليب حديثة تواكب روح العصر وتدعم التواصل الثقافي.
5. تقديم إطار منهجي ونظري يساعد الباحثين والمهتمين في المجال الفني والثقافي على فهم أعمق لمفاهيم الريادة والهوية والتجديد في الفن المعاصر.

حدود البحث

– الحدود الموضوعية:

يركز البحث على دراسة مفهوم الريادة الفنية ودورها في تأصيل الهوية الوطنية داخل الفن المعاصر، مع التركيز على الأعمال الفنية التي تمثل هذا الموضوع.

–الحدود المكانية:

ينحصر البحث في سياق الفن التشكيلي المعاصر داخل المملكة العربية السعودية، مع الإشارة إلى بعض المراجع والمقاربات من الفن العربي المعاصر.

–الحدود الزمنية:

تغطي الدراسة الفترة المعاصرة، وتحديدًا الأعمال الفنية التي أنتجت خلال العقدين الأخيرين (من 2000 إلى 2026)، نظرًا لارتباطها بالتحولات الثقافية والاجتماعية الحديثة والرؤية السعودية 2030.

الإطار النظري

أولًا: مفهوم الريادة الفنية في الفن المعاصر

تُعد الريادة الفنية مفهومًا مركزيًا في دراسة الفنون البصرية المعاصرة، إذ تشير إلى قدرة الفنان أو التجربة الفنية على تقديم رؤية جديدة تتجاوز المألوف، سواء عبر الشكل أو الفكرة أو التقنية أو آليات العرض والتلقي. وتتمثل الريادة في إنتاج خطاب بصري يفتح مسارات جديدة للتعبير، ويُحدث تحولًا في طريقة قراءة العمل الفني ضمن سياقه الثقافي والاجتماعي (العتيبي، 2019). كما ترتبط الريادة بالابتكار بوصفه فعلًا معرفيًا وجماليًا

يعيد صياغة العلاقة بين الفنان والمجتمع، ويمنح الفن دورًا يتجاوز الزخرفة أو المتعة البصرية نحو التأثير الثقافي (الحربي، 2020).

وتتجلى الريادة الفنية في الفن المعاصر من خلال عدة سمات، من أبرزها: التجريب في الخامات والأساليب، تجاوز الحدود بين التخصصات، والانفتاح على المفاهيم التي تجعل العمل الفني أكثر ارتباطًا بالقضايا الإنسانية والاجتماعية. وتؤكد بعض الأدبيات أن الريادة لا تتحقق فقط عبر الاختلاف الشكلي، بل عبر بناء معنى جديد نابع من وعي الفنان بواقعه الثقافي وبالتحولات التي يعيشها العالم (عبد الله، 2020).

ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى الريادة الفنية بوصفها مسارًا لإنتاج أعمال تتسم بالقدرة على التغيير والتأثير، وبناء تجربة بصرية قادرة على تمثيل المجتمع أو مساءلته، بما يجعلها عنصرًا فاعلًا في تطوير الفن المعاصر وإثراء خطابه (الحربي، 2020).

ثانيًا: الهوية الوطنية في الفنون البصرية المعاصرة

تمثل الهوية الوطنية مفهومًا ثقافيًا مركبًا يتضمن منظومة من القيم والرموز والتاريخ واللغة والموروثات التي تمنح المجتمع خصوصيته وتميزه. وفي الفنون البصرية، تتجلى الهوية الوطنية بوصفها خطابًا بصريًا قادرًا على تجسيد الذاكرة الثقافية وإعادة إنتاجها من خلال الشكل والرمز والدلالة (الشمري، 2021). ولا تُفهم الهوية في الفن على أنها "نسخ" لعناصر التراث، بل بوصفها عملية تأويل وإعادة صياغة للثقافة في صور جديدة تُناسب روح العصر (الخزاعي، 2017).

ويُلاحظ أن الهوية الوطنية في الفن المعاصر قد تظهر عبر مستويات متعددة، مثل:

- توظيف الرموز التراثية (العناصر الشعبية، المعمار، الزخارف، البيئة المحلية).
- استلهام القيم الاجتماعية والذاكرة الجمعية.
- استحضار التحولات التاريخية في بناء المجتمع.

- استخدام اللغة البصرية المرتبطة بالمكان (الخزاعي، 2017؛ الشمري، 2021).

كما أن الفن المعاصر يُعيد تقديم الهوية بطرق غير مباشرة أحيانًا، مثل استخدام الخامات المرتبطة بالبيئة أو توظيف السرد البصري الذي يحمل دلالات ثقافية عميقة دون الاعتماد على رموز تقليدية صريحة (سليمان، 2018).

ثالثًا: التراث بوصفه مصدرًا للابتكار وليس للتكرار

يشكل التراث أحد أهم روافد الفن العربي المعاصر، إلا أن قيمته لا تكمن في كونه "ماضيًا" يتم استعادته كما هو، بل باعتباره مصدرًا غنيًا لإنتاج رؤى مبتكرة. فالتراث، وفق منظور معاصر، يتحول إلى مادة معرفية يمكن تفكيكها وإعادة تركيبها وفق احتياجات الخطاب الفني الحديث (الخزاعي، 2017). وهذا ما يجعل عملية توظيف التراث في الفن المعاصر مرتبطة بفكرة "التأصيل"، أي بناء علاقة واعية بين الجذور والابتكار.

وتوضح الدراسات أن التجربة التشكيلية العربية المعاصرة سعت إلى تحقيق توازن بين التراث والحداثة، حيث أصبح الفنان العربي يشتغل على التراث بوصفه مجالًا مفتوحًا للتجريب، لا مجرد مخزون زخرفي أو شكلي (الحميدي، 2016). ومن هنا، يظهر التراث في الأعمال المعاصرة عبر التحوير والتجريد والتفكيك وإعادة البناء، وهو ما يخلق مسافة إبداعية بين الأصل والنتاج الجديد.

وبذلك، يصبح التراث وسيلة لتمكين الهوية من الاستمرار داخل الفن المعاصر، لأن الهوية هنا لا تُحفظ بالتكرار، بل بالتجدد والابتكار (الحميدي، 2016).

رابعًا: الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية

إن العلاقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية علاقة تفاعلية؛ فالريادة تمنح الفنان أدوات جديدة للتعبير، بينما تمنح الهوية للفن عمقًا ثقافيًا ومعنًى مرتبطًا

بالمجتمع. وعندما ينجح الفنان في بناء صيغة معاصرة مستلهمة من المرجعية الثقافية، فإنه يحقق "ريادة" تُسهم في تعزيز الهوية بدل أن تذيبها في قوالب عالمية جاهزة (سليمان، 2018).

ويظهر هذا التداخل بوضوح عندما تصبح الهوية عنصرًا مفاهيميًا داخل العمل الفني، أي ليست مجرد رموز أو زخارف، بل رؤية تتجسد في بنية العمل، وفي علاقته بالمتلقي، وفي رسالته الثقافية (الشمري، 2021). كما تؤكد الدراسات أن تأصيل الهوية لا يعني الانغلاق، بل يمكن للفن المعاصر أن يكون عالميًا في لغته التشكيلية، ومحليًا في جذوره ودلالاته في الوقت نفسه (عبد الله، 2020).

خامسًا: العولمة وتحديات تأصيل الهوية في الفن المعاصر

أفرزت العولمة الفنية بيئة ثقافية مفتوحة تسهم في انتشار الأساليب والاتجاهات بسرعة، مما أدى إلى تزايد التشابه بين التجارب الفنية في كثير من السياقات. وقد نتج عن ذلك تحدٍّ يتمثل في احتمال ذوبان الخصوصية المحلية أمام النزعات العالمية، خاصة عندما يصبح الفنان في حالة تقليد لخطابات فنية عالمية دون إعادة موضوعاتها ثقافيًا (عبد الله، 2020).

وتشير بعض الأدبيات إلى أن الفن المعاصر أصبح أمام خيارين:

- إما الانغلاق داخل الرموز التراثية بشكل مباشر قد يؤدي إلى "جمود بصري".
- أو الذوبان في العالمية بشكل قد يفقد العمل خصوصيته الثقافية (سليمان، 2018).

ومن هنا تظهر الريادة الفنية بوصفها حلًا معرفيًا وجماليًا، لأنها تمنح الفنان قدرة على إنتاج أعمال متجددة تستوعب روح العصر مع الحفاظ على جوهر الهوية الوطنية (الحربي، 2020).

سادسًا: تأصيل الهوية في الفن التشكيلي السعودي المعاصر

شهد الفن التشكيلي السعودي المعاصر تطورًا في اتجاهات التعبير عن الهوية الوطنية، حيث لم يعد الاهتمام بالهوية مقتصرًا على الرموز التقليدية، بل اتجه إلى صياغات معاصرة تتعامل مع المكان، والذاكرة، والتحولات الاجتماعية، بوصفها عناصر هوية قابلة للتجسيد بصريًا (القحطاني، 2019). كما أن بعض التجارب الفنية اتخذت من البيئة المحلية والعمارة والرموز الشعبية مادة لإنتاج أعمال ذات طابع عالمي دون فقدان خصوصيتها (القحطاني، 2019).

ويُعد هذا التوجه مثالًا واضحًا على إمكانية الجمع بين الريادة الفنية والهوية الوطنية داخل الفن المعاصر، من خلال ابتكار لغة بصرية جديدة تستند إلى جذور ثقافية واضحة (العتيبي، 2019).

الدراسات السابقة

تناولت الدراسات السابقة موضوع الهوية والريادة في الفن المعاصر من زوايا متعددة، شملت توظيف التراث بوصفه مصدرًا للابتكار، وتحليل الخطاب البصري للهوية، ومناقشة تأثير العولمة على الخصوصية المحلية، إضافة إلى دراسات ركزت على السياق السعودي تحديدًا. ويمكن تصنيف هذه الدراسات إلى محاور رئيسة تخدم موضوع البحث الحالي.

أولًا: دراسات تناولت الهوية الوطنية والهوية الثقافية في الفن المعاصر

قدّمت الغذامي دراسة مهمة حول الهوية الوطنية وعلاقتها بالفن المفاهيمي في المجتمع السعودي، حيث ركزت على تحليل ممثلات الهوية داخل الأعمال المفاهيمية، وأبرزت قدرة الفنان على تحويل عناصر الهوية إلى خطاب بصري معاصر يسهم في تعزيز الوعي الثقافي. وتُعد هذه الدراسة ذات صلة مباشرة بالبحث، لأنها تعالج الهوية من منظور الفن المفاهيمي بوصفه أحد اتجاهات الفن المعاصر (الغذامي، 2024).

وفي سياق عربي مقارن، ناقش نصر دور الفن البصري في تجسيد الهوية الثقافية من خلال تحليل أعمال إسماعيل شموط، موضحًا كيف يمكن للفن أن يعمل كوسيط لتثبيت الذاكرة الجمعية وتعزيز الانتماء الوطني عبر الرموز والدلالات البصرية. وتُظهر هذه الدراسة أهمية العمل الفني بوصفه وثيقة ثقافية قادرة على حمل الهوية وإعادة إنتاجها بصريًا (نصر، 2022).

كما تناول عبد العزيز وإبراهيم مفهوم الهوية في أعمال الفنانين العراقيين المعاصرين، مبينين أن الهوية تُبنى عبر استدعاء عناصر التراث وتحويلها إلى لغة تشكيلية جديدة. وتفيد هذه الدراسة في دعم الطرح النظري للبحث حول الهوية بوصفها بناءً بصريًا قابلًا للتجدد داخل الفن المعاصر (عبد العزيز & إبراهيم، 2023).

ثانيًا: دراسات ركزت على التراث بوصفه مصدرًا للابتكار والتأصيل

قدّمت يوسف دراسة نظرية ركزت على التراث بوصفه مدخلًا لتحقيق الهوية الذاتية في الفن المعاصر، وبيّنت أن توظيف التراث لا ينبغي أن يُفهم كعملية نقل أو استنساخ، بل بوصفه إعادة تأويل تسمح بإنتاج معانٍ جديدة تتناسب مع التحولات المعاصرة. وتلتقي هذه الدراسة مع توجه البحث الحالي في اعتبار التراث عنصرًا مولّدًا للابتكار لا مجرد عنصر زخرفي (يوسف، 2019).

وفي السياق ذاته، تبرز أهمية الدراسات التي تربط بين التراث والهوية في الفن المعاصر عبر تحليل العلاقة بين الرموز الثقافية وبنية العمل الفني، حيث تُظهر هذه الدراسات أن الهوية لا تتجسد في الرمز وحده، بل في طريقة صياغته داخل الخطاب البصري المعاصر (يوسف، 2019).

ثالثًا: دراسات تناولت الفن السعودي المعاصر والتحولات الثقافية

قدمت الأصقه قراءة تحليلية حول مفهوم "الذات الفاعلة" في الفن السعودي المعاصر، مبينة أن الفنان السعودي لا يكتفي بتمثيل الواقع، بل يشتغل على إنتاج دلالة ثقافية

نابعة من بيئته وتحولاته الاجتماعية، مع تفاعل واضح مع الاتجاهات العالمية. وتفيد هذه الدراسة في دعم فكرة التوازن بين الخصوصية المحلية والانفتاح العالمي داخل الفن المعاصر (الأصقه، 2023).

كما تناول المروعي الهوية الثقافية في الفن التشكيلي السعودي بوصفها مدخلًا لإثراء التصوير المعاصر، حيث ركز على تحليل عناصر الهوية المحلية وكيف يمكن توظيفها في بناء لغة تشكيلية معاصرة. وتعد هذه الدراسة قريبة من موضوع البحث الحالي لأنها تناقش الهوية في السياق السعودي تحديدًا، وتدعم فكرة التأصيل داخل الممارسة الفنية المعاصرة (المروعي، 2024).

رابعًا: دراسات تناولت الهوية البصرية وتشكيل الخطاب المعاصر

ناقشت سويد وآخرون مفهوم الهوية البصرية في سياق الفن المعاصر من خلال وسائل الإعلان الفني، موضحين أن الهوية لا تُبنى فقط عبر المحتوى، بل عبر النظام البصري الذي يشكل صورة متكاملة للخطاب الفني. وعلى الرغم من اختلاف مجال الدراسة عن الفن التشكيلي المباشر، إلا أنها تساهم في دعم البعد النظري المتعلق بمفهوم الهوية البصرية كجزء من التلقي والتأثير في الثقافة المعاصرة (سويد وآخرون، 2024).

كما تناولت شمس صياغات معاصرة مستمدة من الفن التجريدي لدعم الهوية المصرية، وأظهرت أن الهوية يمكن أن تُستثمر داخل التجريد عبر بناء رموز وأساليب تحمل دلالات ثقافية. وتفيد هذه الدراسة في دعم فكرة أن الهوية ليست محصورة في الأعمال الواقعية أو التراثية المباشرة، بل يمكن أن تظهر في اتجاهات معاصرة مختلفة (شمس، 2021).

خامسًا: مناقشة الدراسات السابقة وتحديد الفجوة البحثية

يتضح من مراجعة الدراسات السابقة أن هناك اهتمامًا واضحًا بمفهوم الهوية الثقافية والوطنية داخل الفن المعاصر، إضافة إلى التركيز على التراث بوصفه مصدرًا للتأصيل والابتكار. كما تناولت بعض الدراسات السياق السعودي من منظور الهوية والفن المفاهيمي والتحولات الثقافية.

إلا أن معظم هذه الدراسات تناولت الهوية أو التراث أو الفن السعودي المعاصر كلٌّ على حدة، بينما لا تزال الحاجة قائمة إلى دراسة تربط بصورة مباشرة بين الريادة الفنية بوصفها مفهومًا نقديًا معاصرًا وبين تأصيل الهوية الوطنية بوصفه هدفًا ثقافيًا وفنيًا داخل الفن المعاصر، مع تقديم تحليل يوضح آليات هذا التأصيل ضمن نماذج فنية محددة. ومن هنا يأتي البحث الحالي ليسد هذه الفجوة من خلال دراسة العلاقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية في الفن المعاصر وتحليل تطبيقاتها في التجارب الفنية.

المنهجية

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل المفاهيم النظرية المرتبطة بالريادة والهوية في الفنون البصرية، وربطها بالسياق المعرفي والثقافي للفن المعاصر، بما ينسجم مع طبيعة البحث النظري ومن ثم دراسة و تحليل احد الاعمال المفاهيمية المعاصرة وتوضيح علاقتها بالريادة وتأصيل الهوية.

الاطار التطبيقي

في هذا المحور، يتم تقديم نموذج تطبيقي يُبرز كيفية تجسيد مفهوم الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية في الفن المعاصر، وذلك من خلال دراسة تحليلية لعمل الفنانة السعودية رحاب الغذامي بعنوان "الروح". شكل (1) يعد هذا العمل تصويرًا فوتوغرافيًا

لنواة التمر، تم عرضه في معرض "روما إنترناشونال آرت 2025" شكل (2) ، حيث يعكس قيمة التراث والابتكار الفني في آن واحد.

شكل (1): رحاب عبد الله الغدامي، الروح، عمل مفاهيمي، تصوير فوتوغرافي، (سنة2025)

شكل(2) : معرض Rome International Art 2025

وصف العمل

عمل "الروح" هو صورة فوتوغرافية تركز على نواة التمر، التي تُعتبر رمزًا تراثيًا عميق الجذور في الثقافة السعودية. تم تصوير النواة بأسلوب يبرز التفاصيل الدقيقة للسطح والملمس، مع استخدام إضاءة مركزة تسلط الضوء على النواة وتبرزها كعنصر محوري في الصورة. يُظهر العمل التوازن بين البساطة في اختيار الموضوع والتعقيد في التصوير والبعد الرمزي، ما يجعل النواة بمثابة مركز حياة ورمزًا للانتماء والهوية الوطنية.

التحليل التشكيلي والفكري

يعتمد العمل على تقنية التصوير الفوتوغرافي بشكل يعكس حساسية فنية عالية في اختيار الزاوية والإضاءة والملمس، حيث يستخدم الضوء والظل لتسليط هالة من القدسية على النواة، مما يجعلها تتألق في البعد البصري وتعكس رمزية عميقة. يظهر الأسلوب التصويري قدرة الفنانة على إبراز تفاصيل قد لا تُلاحظ بالعين المجردة، ما يضيف بعدًا تأمليًا يدعو المشاهد للتفكر في المعاني المرتبطة بالنواة.

تقول الفنانة في وصف عملها لمجلة لـ"هي":" يحمل عملي الفني عنوان الروح، والتي تم تمثيله عبر نواة التمرة ذات التعرجات المختلفة، وهي هنا تمثّل تجاربنا وحياتنا، أما القطمير الذي يحيط بالنواة، فهو كناية عن العلاقات والمجتمع والظروف المحيطة، ورغم شفافيته الظاهرة، فإن له تأثيراً كبيراً على الروح وتشكيل هويّتها. وقد استعرت معنى المساحة السوداء التي تحيط بهما، من الكعبة المشرفة، والتي تمثل موطن هذه الروح، وهنا أحاول أن أخاطب الجمهور المتلقّي، وأدعوه للتفكّر بهذه الروح: هل نحن على وعي بقيمة أرواحنا في ظل هذا الزمن الذي أصبح فيه الجسد هو الظاهر والأول؟" (القنيبط،2025)

فنواة التمر في هذا العمل مركز الحياة والذاكرة الثقافية، فهي ليست مجرد عنصر طبيعي، بل رمز متجذر في الوعي الوطني يعبر عن الأصالة والاستمرارية. هذه الرؤية تتماشى مع نظريات تأصيل الهوية التي ترى في التراث مصدرًا للابتكار والإبداع وليس مجرد استنساخ للماضي . كما يعكس العمل مفهوم الريادة الفنية من خلال تقديمه موضوعًا تراثيًا بصيغة معاصرة تواكب المتغيرات الفنية والثقافية، فتتجاوز الفنانة الحدود التقليدية للفن التشكيلي عبر التصوير الفوتوغرافي الإبداعي.

علاوة على ذلك، يعكس عرض العمل في معرض دولي مثل "روما إنترناشونال آرت 2025" التفاعل بين الهوية المحلية والخصوصية العالمية، مما يبرز قدرة الفن السعودي المعاصر على الانخراط في الحوارات الفنية العالمية مع الحفاظ على جذوره الثقافية .

وهو ما أكدت عليه الفنانة بقولها : "أكثر ما أسعدني لم يكن رؤية عملي معروضاً، بل رؤية اسم المملكة العربية السعودية على بطاقة التعريف. أن تمثّل وطنك في سياق عالمي هذا شعور لا يُشبهه شيء و فرصة لتعزيز مكانة المملكة العربية السعودية، من خلال إبراز الفن السعودي ونقل ثقافتنا وإرثنا الحضاري، وإيصالها إلى العالم على هيئة صورة بصرية وكلمة منطوقة ، فحين يسمع الآخر عنّا بشكل مباشر، نكون قد ساهمنا في تشكيل صورة هويّتنا الثقافية داخل عقولهم." (القنيبط،2025)

ربط العمل بأهداف البحث

يمثل عمل "الروح" تجسيدًا حيًا لأهداف البحث التي تسعى إلى فهم كيف تساهم الريادة الفنية في تأصيل الهوية الوطنية عبر الفن المعاصر. من خلال تجديد رمز تراثي بسيط كالنواة وإبرازه في شكل فني معاصر، يحقق العمل هدف البحث في استكشاف آليات توظيف التراث ضمن ممارسات فنية حديثة تعزز الهوية الوطنية.

كما يدعم العمل الهدف المتعلق بفهم دور الريادة الفنية في تطوير المشهد الفني السعودي، حيث يقدم نموذجًا يعكس الجمع بين التراث والحداثة، ويؤكد إمكانية تقديم الفن السعودي في فضاءات دولية، مما يعزز الحضور الفني الوطني.

يُظهر تحليل عمل "الروح" كيف يمكن للفن المعاصر أن يكون أداة فعالة لتأصيل الهوية الوطنية من خلال استثمار الرموز التراثية بطرق إبداعية وريادية. وتؤكد تجربة الفنانة أن الريادة الفنية ليست فقط في التجديد التقني أو الأسلوبي، بل في القدرة على ربط الفن بالذاكرة الثقافية والهوية، مما يجعل العمل الفني رسالة ثقافية تحمل بعدًا حضاريًا يتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ.

ويعكس هذا التوجه وعيًا بمفهوم الريادة الفنية من خلال تحويل عنصر يومي مرتبط بالبيئة المحلية إلى خطاب بصري معاصر، يسهم في تأصيل الهوية الوطنية دون الوقوع في التكرار أو النقل الحرفي للتراث، وهو ما يتوافق مع ما أشار إليه الخزاعي (2017) والشمري (2021) حول دور الفن المعاصر في إعادة إنتاج الهوية بصريًا.

النتائج

توصل البحث إلى عدد من النتائج منها:

1. وجود علاقة وثيقة بين الريادة الفنية وتأصيل الهوية الوطنية.
2. أسهمت الريادة الفنية في إعادة توظيف التراث ضمن صيغ معاصرة.
3. واجه الفن المعاصر تحديات تتعلق بتأثير العولمة على الخصوصية الثقافية.
4. برزت التجارب الفنية السعودية بوصفها نموذجًا فاعلًا في تحقيق التوازن بين المحلية والعالمية.
5. تمتلك الفنون البصرية قدرة عالية على الدمج بين التأصيل والابتكار.

التوصيات

توصل البحث الى عدد من التوصيات منها:

1. دعم الدراسات التي تربط بين الريادة الفنية والهوية الوطنية.
2. تشجيع الفنانين على توظيف التراث بأساليب ابتكارية معاصرة.
3. تعزيز دور المؤسسات الثقافية في دعم المشاريع الفنية الريادية.
4. إدراج مفاهيم الهوية والريادة ضمن مناهج تعليم الفنون.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن الريادة الفنية وتأصيل الهوية في الفن المعاصر يشكلان علاقة تكاملية، تتيح للفنون البصرية إنتاج خطاب فني معاصر يحافظ على الخصوصية الثقافية وينفتح في الوقت ذاته على آفاق الابتكار. ويؤكد البحث أن الفن، بوصفه نظامًا معرفيًا، يمتلك القدرة على إعادة صياغة الهوية دون الإخلال بجذورها.

المصادر

الأصقه، شذى إبراهيم. (2023). الذات الفاعلة في الفن البصري السعودي المعاصر. مجلة كلية الفنون الجميلة – جامعة بغداد، (عدد/مجلد غير محدد).

الحربي، عبد العزيز بن محمد. (2020). الريادة الفنية ودورها في تطوير الفن التشكيلي المعاصر. مجلة التربية الفنية، 14(2)، 33–59.

الحميدي، عبد الرحمن بن صالح. (2016). التراث والحداثة في التجربة التشكيلية العربية المعاصرة. القاهرة: دار الفكر العربي.

الخزاعي، فاطمة حسين. (2017). التراث بوصفه مصدرًا للابتكار في الفنون البصرية المعاصرة. عمّان: دار المسيرة للنشر.

سويد، ياسمين سعيد، وآخرون. (2024). A Graphic Study of Visual Identity in Contemporary Art Advertising Media. مجلة ((PIJAD، (عدد/مجلد غير محدد).

سليمان، يوسف عبد الكريم. (2018). الفن المعاصر بين الخصوصية المحلية والعالمية. مجلة الفنون المعاصرة، 6(3)، 21–44.

شمس، ريهام. (2021). صياغات طباعية معاصرة مستمدة من الفن التجريدي لدعم الهوية المصرية. مجلة ((EKb Journals، (عدد/مجلد غير محدد).

الشمري، خالد بن أحمد. (2021). تجليات الهوية في الخطاب البصري للفن المعاصر. مجلة دراسات فنية، 9(1)، 77–102.

العتيبي، محمد بن عبد الله. (2019). الإبداع الفني بوصفه مدخلًا للريادة في الفنون البصرية المعاصرة. مجلة الفنون البصرية، 11(2)، 45–68.

عبد الله، حسن محمود. (2020). تحولات الفن التشكيلي المعاصر في ظل العولمة. بيروت: المركز الثقافي العربي.

عبد العزيز، هيفا، & إبراهيم، علي هادي. (2023). Identity Status in the Works of Iraqi Contemporary Artists. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، (عدد/مجلد غير محدد).

الغذامي، رحاب عبد الله. (2024). National Identity and Conceptual Art: The Saudi Society. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، (عدد/مجلد غير محدد).

القحطاني، نورة بنت سعد. (2019). تأصيل الهوية الوطنية في الفن التشكيلي السعودي المعاصر. الرياض: وزارة الثقافة.

القنيبط،رهف . (2025) .الفنانة السعدية رحاب الغذامي تعرض " الروح" في International Art2025 Rome سردية برية من نواة التمر.مجلة هي https://www.hiamag.com.

المروعي، مسفر محمد أحمد. (2024). الهوية الثقافية للفن التشكيلي السعودي كمدخل لإثراء التصوير المعاصر. مجلة ((EJOS، (عدد/مجلد غير محدد).

نصر، علي أحمد ناجي. (2022). دور الفن البصري في تجسيد الهوية الثقافية الفلسطينية: دراسة تحليلية لأعمال إسماعيل شموط. مجلة ((JALHSS، (عدد/مجلد غير محدد).

يوسف، ثريا حامد. (2019). التراث كمدخل لتحقيق الهوية الذاتية في الفن المعاصر. مجلة ((EKb Journals، (عدد/مجلد غير محدد).